جودة الحياة الأسرية وتنمية القدرات الإبداعية للأبناء

إعداد

أ.د/ أماني عبد المقصود عبد الوهاب

أستاذ الصحة النفسية والإرشاد النفسي

ووكيل كلية التربية النوعية–جامعة المنوفية

مقدمة:

تمثل الأسرة الركيزة الأساسية فى تخطيط وبناء شخصية الأبناء من خلال الرعاية الدينامية لهم، كما تؤثر الفاعلية الوالدية الهادفة فى تشكيل شخصيتهم المستقلة بتدريبهم على التعامل مع المواقف التى يواجهونها بكفاءة، والسعي لإنجاز أعمالهم، حيث توجد علاقة إيجابية بين الفاعلية الوالدية الداعمة والفاعلية الذاتية للأبناء المثابرين على تحقيق أهدافهم (أنور فتحي، ٢٠٠٣، ١٠١).

وبما أن الأسرة هى الجماعة الأولية التى يعيش فيها الطفل، فإن للأسرة التأثير الأكبر على ذلك الطفل. ويذكر أحمد عزت راجح (١٩٩٩، ٦٢٥) أن مهمة الأسرة أصبحت أكثر تعقيداً عن ذى قبل، فلم يعد الطفل بحاجة إلى إشباع الحاجات الأساسية فقط ولكن مع تزايد الأعباء وتعدد أدوار الأسرة، أصبح على الأسرة تزويد الطفل بالأساليب الناجحة للتفاعل والتكيف مع الحياة.

إن تربية الإبداع عملية تسير وفق نمو الطفل ووفق إشباع حاجاته الأساسية والسيكولوجية والمعرفية والاجتماعية. لذلك تعنى بتربية الطفل عدة مؤسسات، تبدأ بالأسرة، ثم الحضانة، فالروضة، فالمدرسة الابتدائية. وجميع هذه العناصر معنية بتربية الإبداع، وتهيئة الظروف المناسبة التي تعزز وتسهم في تطويره، وتربيته وإنمائه، وأن للإبداع قيمة نفسية، إذ فيه يعبر الطفل عن مخزنه بطريقة تسهم في زيادة إيجابية، وفعالية نشاطه المعرفي والاجتماعي والارتقاء به.

والطفل هو الثروة الأساسية للوطن ومن ثمَّ فإن تنمية القدرة الخلاقة والمبدعة تصبح هي الهدف الأسمى لأي تثقيف إذا ما أردنا للمجتمع أن يرقي وينهض وإذا ما قصدنا للوطن نماء إجتماعيا وثقافيا واقتصاديا(سعود عبد العزيز الشعيل، ٢٠١١).

وإذا كان النصف الأول من القرن العشرين قد شهد اهتماماً واضحاً بالذكاء والقدرات الخاصة، فإن النصف الأخير من القرن نفسه قد شهد الاهتمام بالإبداع وتميز برعاية المبدعين والعناية بهم، فانكب مئات العلماء والباحثين وعشرات من المؤسسات العامة والخاصة بدراسة المبدعين وخصائصهم، وبدأ العمل في وضع البرامج التربوية لتنمية المواهب والإبتكارات لدى الأطفال والتلاميذ منذ المراحل المبكرة من حياتهم، كما صدرت المؤلفات العديدة التي تتناول الإبداع وتعنى بتربية الموهوبين، ولعل من أهم المجلات

المتخصصة التي اهتمت ببحوث الإبداع مجلة السلوك الإبداعي The Jornal Of Creative Behavior التي صدرت في أمريكا عام ١٩٦٧م.

وهكذا نخلص إلى القول بأن الإهتمام بالعملية الإبداعية لدى الأطفال باتت من الأهداف الأساسية التي ينادي بها الباحثون والمعلمون والمربون بدءاً من مراحل الإكتشاف المبكر لمواهبهم وقدراتهم ثم التعرف على خصائصهم ومن ثم العمل على تنمية هذه المواهب أو الإبتكارات عن طريق التعليم والتدريب الموجه ويعمل هذا الكتاب على التركيز على الموهوبين والمبدعين وكيفية تنمية الأطفال إبداعيا انطلاقاً من إحساسنا بالأهمية الكبيرة لهذه الشريحة في المجتمع التي تمثل ثروة قومية يجب العناية بها على مختلف المستويات الإجتماعية التي يتفاعل معها الطفل بداية من الأسرة إلى المجتمع بمؤسساته.

وأصبح الاهتمام بالإبداع والمبدعين من ضروريات هذا العصر وسماته لما له من دور بارز في تقدم الإنسان في جميع مجالات الحياة فتربية العقول المبدعة وتنمية الإبداع أصبح مطلب حياة وغاية مستهدفة على مستوى المجتمع والتربية بمؤسساتها المختلفة. وتغيير التعليم على أساس إبداعي يمثل تحديا ضخما، ولكن لا يوجد بديل عنه لملاحقه متطلبات العصر وخاصة فيما يتعلق بالتنمية الشاملة والحصول على فرص عمل متميزة . والقدرة الإبداعية موجودة لدى جميع الأفراد ولكن بدرجات متفاوته ويكن استثارتها عن طريق تعلم المهارات التي تساعد على حدوثها، وعن طريق استخدام الوسائل التي تكفل توظيف المحتوى المعرفي بما يعمل على استثارة السلوك المعرفي والوجداني المرتبط بالتفكير، وبالتالي فان أي برنامج أو أسلوب لتنمية الإبداع لا نضمن أن يخلق شخصا من فراغ أو مبدعا من عدم، ولكن كل ما ينتظر منه ان يزيد من فرص الكشف عن الطاقات المبدعة لديه

ومن ثم تعتبر الأسرة المكان الذي يطور فيه الطفل أساليب تفكيره، واتجاهاته، وذلك عن طريق تفاعله مع العناصر المحيطة به: الوالدان، والأخوة، والأخوات، وما يصل إليه من نماذج تعرض له وفق هذه الظروف، ومن خلال استعراض الدراسات المختلفة في هذا المجال، ثم التوصل إلى تحديد طبيعة الظروف، وطبيعة التنشئة الأسرية التي تسهم في تطوير الإبداع لدى الأطفال.

وبذلك تصبح الأسرة بصفة عامة بما تتضمنه من علاقات وتفاعلات مثمرة مع الأطفال مجالا يستطيع من خلاله الطفل أن يشبع حاجته إلى الحب والألفة والمودة فى ظل مناخ يغلب عليه الوئام والتفاهم بين الآباء والأبناء بحيث يكون بمقدورهم تحقيق ذواتهم وإشباع حاجاتهم ومن ثم الشعور بالرضا عن حياتهم ونمو القدرات الإبداعية وتشجيعها.

وتعتبر جودة الحياة الأسرية من أقوى مؤشرات الرضا عن الحياة لدى الأبناء (Huebner,et al.,2004;Erikson,2004). كما تعتبر الاتصالات الأسرية المشبعة منبئاً بانخفاض الاضطرابات الانفعالية لدى الأبناء المراهقين(Hair,C.et al., 2003; Benjamin,S.et al., 2004; Henery, C., 2006).

ونظرا لأن الأسرة تعمل بوصفها نسق متكامل ومتوازن للتفاعلات بين أعضائها وأن أي اضطراب فى هذا النسق يخل بالتوازن القائم، وأن الأسرة مسئولة بالدرجة الأولى عن الاضطرابات النفسية والمشكلات السلوكية التى تظهر لدى أبنائها نتيجة للتفاعلات المضطربة داخل النسق الأسرى (Lonescu,A.,1998) فهي أيضاً المسئولة عن إبداع الطفل وإظهار قدراته الكامنة وتشجيعها للوصول إلى أعلى مستوى لها.

إن الاهتمام بالجيل الجديد في جزء كبير منه ينصب على تنمية روح الإبداع لديهم، على اعتبار أن تنمية روح الإبداع تساعد على تكوين شخصية الناشىء وتمكنه من امتلاك القدرة على الإنجاز والتطوير، وعن هذا الطريق يكون المجتمع عندما يهتم بتنمية الإبداع عند أبنائه، قد أمن لمستقبله جيلاً قادراً على أن يبتكر ويبدع في كل ما من شأنه تقدم مجتمعه وتطوره بأساليب أكثر مناسبة لروح العصر وأكثر قدرة على مواجهة التحديات وعلى قهر المعوقات والمصاعب.فالإبداع هو قدرة على رؤية علاقات جديدة وعلى إنتاج أفكار غير معتادة والبعد عن الشكل التقليدي في التفكير. إذ أن العملية الإبداعية هى تعبيرً عن القدرة على إيجاد علاقات بين أشياء لم يسبق أن قيل أن بينها علاقات. وهذا ما يستهدفه الاهتمام بالناشئة من تنمية القدرة لدى الأطفال على إنتاج أفكار غير معتادة والكشف عن علاقات جديدة بين الطبيعة والإنسان مبتعدين عن التفكير التقليدي الذي يسود مجتمعهم. والإبداع عملية تجعل الفرد حساساً للمشكلات وأوجه النقص وفجوات المعرفة والمبادئ الناقصة وعدم الانسجام فيحدد الصعوبات ويبحث عن الحلول ويقدم تخمينات ويصوغ فروضاً من النقائض ويختبر هذه الفروض ويعيد اختبارها ويعدِّلها ويعيد اختبارها مرة أخرى ثم يقدم نتائجه في النهاية.

وهذا ما تهدف إليه التربية عموما لكي ينمو الطفل ويتدرج فى النمو حتى يصبح شاباً مدركاً لأبعاد المشكلات الاجتماعية وأوجه النقص في مجتمعه ومختلف العيوب العالقة بالمعرفة والمبادئ، وأن يكون قادراً على وضع الحلول والتخمينات والتوقعات، وبروح علمية موضوعية يضع الفروض ويختبرها حتى يثبت نجاحها في الوصول إلى النتائج المرغوبة.

إن التفكير الإبداعي يفتح آفاقا جديدة للمجتمع للاستفادة من فكر العلماء والباحثين ومن رؤى الخبراء والمبدعين، وهو بذلك يشكل الشغل الشاغل للمجتمعات الطامحة للتطور والتقدم، حتى تتمكن من تحقيق أهدافها بفكر أبنائها وجهودهم، الأمر الذي يتطلب من المؤسسات المجتمعية أن تعمل على تنمية القدرات الابتكارية وخاصة المؤسسات التربوية والتعليمية ومراكز رعاية الموهوبين والبحث العلمي، ويأتي في هذا القبيل ميدان الاهتمام بالأطفال ليشكل جيلاً قادراً على الإبداع، وتعتبر الأسرة هى المؤسسة الأولى المسئولة عن تنمية التفكير الإبداعي لدى الأطفال.

مشكلة البحث:

يعتبر الإبداع وسيلة فاعلة يمتطيها المبدعون ليسهموا في بلورة أفكارهم نظرياً، وفي إنجازها واقعياً، ومن هنا تنبثق أهمية التفكير الإبداعي من كونه قناة أكيدة إلى الإكتشافات الجديدة، ومعبراً مضيئاً إلى النجاح والتفوق، ومنفذاً قاصداً إلى تحقيق أهدافنا بكفاءة وسرعة. ومن هنا أيضاً تنبثق حاجتنا الماسة ليكون للتفكير الإبداعي من ضمن اهتمامات الأسرة المصرية، لتساهم في تطوير المواهب، ورفع مستوى الأداء، وتحسين نوعية الحياة. ولذلك تتلخص مشكلة البحث في أهمية تطوير وتنمية الأسرة للقدرات الإبداعية لأطفالها.

وترى الباحثة أنه على الرغم من تعدد الدراسات والبحوث فى الأدبيات السيكولوجية فى مجال الأسرة بصفة عامة وأساليب التنشئة الخاصة بها، إلا أنها لم تجد بحوثا كافية عن جودة الحياة الأسرية بصفة عامة وعلاقتها بالإبداع لدى الأبناء بصفة خاصة، سواء من حيث طبيعة العلاقة بينهما أو مدى تأثير أحدهما على الآخر. ومن ثم تتبلور مشكلة البحث الحالي فى دراسة جودة الحياة الأسرية فى علاقتها بتنمية القدرات الإبداعية لدى الأبناء.

وقد أوضح تشيك وآخرون .Chek,et al(٢٠٠٥) أنه بمراجعة البحوث والدراسات التى تناولت جودة الحياة وجد قصور فى الدراسات الخاصة بجودة الحياة الأسرية سواء كمفهوم فى حد ذاته أو فى علاقته بالأفراد الذين يخبرون ضغوطا اقتصادية.

وأوضح دانيال وآخرون .Daniel,T.et al(٢٠٠٧) وجود حاجة ماسة وملحة لزيادة الاهتمام بالدراسات الخاصة بجودة الحياة الأسرية والتي تتضمن جودة الوالدية وجودة العلاقة بين الوالد–الطفل خاصة لدى المراهقين فى المدارس الثانوية.

وبناء على ما سبق نجد أن هناك حاجة ماسة لوجود حياة أسرية جيدة لما يترتب عليها من توافق نفسي واجتماعي ومستوى مرتفع من الصحة النفسية ومن ثم تنمية القدرات الإبداعية لدى الأبناء.

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى دراسة جودة الحياة الأسرية كما يدركها الأبناء وعلاقتها بتنمية القدرات الإبداعية لديهم.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث الحالي فى أهمية الموضوع الذى يتصدى لدراسته، حيث أنه يسعى لدراسة العلاقة بين جودة الحياة الأسرية كما يدركها الأبناء وتنمية القدرات الإبداعية لديهم

فمن الناحية النظرية: فعلى الرغم من الاهتمام بدراسة العلاقات بين الوالدين – الطفل لها تاريخ طويل يعكس كبر حجم وغنى التراث الأدبي والنفسي، أو دراسة الأسرة بصفة عامة وأثرها على شخصية الأبناء، وكذلك ارتباطها بعدد من المتغيرات النفسية والاجتماعية والديموجرافية، وعلى الرغم أيضا من كثرة عدد الدراسات التى تناولت الإبداع أو الابتكار لدى الأطفال، إلا أنه لوحظ ندرة البحوث الخاصة بجودة الحياة ألأسرية عامة وفى علاقتها بإبداع الأبناء خاصة. حيث تعتبر جودة الحياة الأسرية من العوامل الميسرة للكفاءة الاجتماعية للطفل والشعور بالسعادة (Roberts,et al.,1999)، لذلك كان من الأهمية فهم طبيعة العلاقة بين جودة الحياة الأسرية وتنمية القدرات الإبداعية لدى الطفل.

ويسلم المشتغلون بالطب النفسي والصحة النفسية بأهمية الأسرة والعلاقات الأسرية السوية، وما يمكن أن يتمخض عن عدم سوائها أو أي قصور فى التفاعلات البينية شخصية بين أفرادها من العديد من الاضطرابات والمشكلات الانفعالية مثل القلق والتوتر والاكتئاب والشعور بالوحدة والاغتراب أو العدوان والانحراف ٠

وبالرغم من أهمية كلا المتغيرين– جودة الحياة الأسرية والقدرات العقلية للأطفال–، إلا أنه من الملاحظ أن البحوث العربية لم تعره الاهتمام الكافي بالرغم من وجود علاقة نظرية بين هذين المتغيرين.

وعلى الرغم من اهتمام بعض الدراسات بتطوير أداة لتقدير جودة الحياة الأسرية، إلا أن دراسات أخرى ركزت على دراسة العوامل المنبئة بجودة الحياة الأسرية دون الاهتمام بدراسة جودة الحياة الأسرية فى علاقتها ببعض المتغيرات الأخرى (Wang,et al.,2006; Turnbull, et al., 2007).

أما عن أهمية البحث من الناحية التطبيقية فهي تتمثل فى توفير قدر من البيانات والمعلومات عن طبيعة جودة الحياة الأسرية وطبيعة أساليب المعاملة الوالدية والأساليب المختلفة لزيادة جودة العلاقات الأسرية، وتطوير خطط المساندة أو الدعم الأسرى، وتطوير البرامج التى يمكن من خلالها تحسين جودة الحياة، وكذلك برامج تدريبية لزيادة القدرات الإبداعية لديهم.

كما أن دراسة جودة الحياة الأسرية، قد يوفر قدراً من المعرفة يساعد الآباء على نهج أساليب مناسبة فى تنشئة أبنائهم وتقديم ما يتناسب مع سماتهم الشخصية، بهدف زيادة دافعيتهم، ومن ثم فاعليتهم التى تدفعهم للنجاح والإنجاز فى مجالات الحياة المختلفة.

الإطار النظري والمفاهيم الأساسية:

أولاً: جودة الحياة الأسرية: Family quality of life (FQOL)

الأسرة هى الخلية الأولى ووحدة بناء المجتمع، مما قد يجعل لها دورا هاما وقوى فى بناء شخصية الأطفال. ومن خلال الدعم النفسي والاجتماعي الذى تقدمه الأسرة للطفل يمكن أن يساعد فى رفع مستوى الفاعلية الذاتية مما يسهم بدوره فى تعديل سلوكه وحسن اختياره للطرق التى يعبر بها عن أهدافه ويرقى بنفسه فيصبح فردا راشدا واعدا فى المجتمع(Turnbull,A.,et al., 2004).

وقد أشار عدد من الباحثين إلى أن الأهمية الكبرى للأسرة بوصفها الخلية الأولية التى من خلالها تتحدد فى رحابها شخصية الفرد المستقبلية، وأن الشكل الذى تتم به تنشئة الطفل فى رحاب الأسرة هو الذى يحدد حجم الدور الذى تقوم به الأسرة من أجل إدماج الطفل فى الإطار الثقافى العام للمجتمع، وذلك عن طريق إدخال التراث الثقافى فى تكوينه، وتوريثه إياه بتعليمه نماذج السلوك المختلفة فى المجتمع الذى ينتسب إليه، وتدريبه على طريقة التفكير السائدة فيه، وغرس المعتقدات الشائعة فى نفسه(فى: جمال محمد الخطيب،١٩٩٨).

ويعتبر مفهوم جودة الحياة quality of life (QOL) من المفاهيم التى نادراً ما حظيت بالاهتمام الواسع سواء على مستوى الاستخدام العلمى أو على مستوى الاستخدام العملى العام فى حياتنا اليومية، غير أن مستخدمى هذا المفهوم لم يتفقوا بعد على معنى محدد لهذا المصطلح، وقد يرجع ذلك إلى حداثة المفهوم على مستوى التناول العلمى الدقيق، وقد تطرق هذا المفهوم للاستخدام فى العديد من العلوم، حيث يستخدم أحيانا للتعبير عن الرقى فى مستوى الخدمات المادية والاجتماعية التى تقدم لأفراد المجتمع، كما يستخدم للتعبير عن إدراك الأفراد لمدى قدرة هذه الخدمات على إشباع حاجاتهم المختلفة(عادل الأشول،٢٠٠٥؛ ديوركان.Durukan,I ، ٢٠٠١) أو لتعدد أبعاده(Mytko,J.&Knight,S., 1999).

ويرى دنيس وآخرون .Dennis,et al(١٩٩٣) أن جودة الحياة للفرد فى جوهرها ترتبط بالأسرة، والجهود المبذولة لمعرفة جودة حياة الفرد يجب أن تضع فى اعتبارها تفسير الأسرة لجودة الحياة (ص٥٠٣). واعتمد كيومنز Cummins على مفهوم جودة حياة الفرد واستخدمه كإطار لجودة حياة الأسرة، بالرغم من أنه لا يمثل جودة الحياة الأسرية بشكل كاف.واعتبر كامبل Campbell (١٩٨١)أن الحياة الأسرية هى مجال أساسى من مجالات جودة الحياة. وبناء على نظرية النظم الأسرية، فإن جودة الحياة الأسرية ليست مجرد مجموع جودة حياة الأفراد وهى أكثر من مجرد المتوسط أو مجموع تصورات الفرد (Broderick,1993).

ويعتبر جيمس James, K. (٢٠٠٢) الحياة الأسرية للأطفال والمراهقين أحد مؤشرات جودة الحياة وبعد أساسى من أبعادها.

ويعرف تيرنبول وتيرنبول Turnbull& Turnbull (٢٠٠١) الأسرة بأنها" إثنين أو أكثر من الأفراد يعتبرون أنفسهم أسرة ويقومون بأداء وظائفهم الأسرية، وقد تربطهم صلة الدم أو الزواج أو لا، وليس بالضرورة أن يعيشوا معا.

ويعرف باترسون وجرويك Patterson&Garwick(١٩٩٤) الأسرة فى أوسع معانيها بأنها "مجموعة من الأشخاص يشتركون مع بعضهم البعض بروابط الدم أو الزواج أو التبنى أو الالتزام على المدى الطويل". وتتمثل وظائف الأسرة فى المودة، احترام الذات، الروحانية Spiritual، والانفاق المادى، الرعاية اليومية، التنشئة الاجتماعية،الترفيه، والتعليم(Gallimore, etal.,1998).

ويعرف بوستون وآخرون.Poston,et al (٢٠٠٣، ٢٠٠٨) الأسرة بأنها "الأفراد الذين يعتقدون فى أنفسهم أنهم جزء من العائلة، ويرتبطون ببعضهم من خلال صلة الدم أو الزواج أو خلافه، وهؤلاء الأفراد يساندون ويقومون برعاية بعضهم البعض من خلال أسس وقواعد منظمة".

ويعرف مركز الشاطئ المعنى بالإعاقة Beach Center on Disability الأسرة بأنها" الأفراد الذين يتشاركون بشكل وثيق فى الشئون المنزلية يوما بعد يوم ودعم بعضهم البعض على أساس منتظم، ويرتبطون ببعضهم سواء كان الارتباط عن طريق الدم ،الزواج،أو علاقة شخصية وثيقة(Rillotta,et al.,2011).

وأوضحت برونزافت.Bronzaft,A (١٩٩٦) فى دراسة لها أن المعاملة الجيدة، وتكوين علاقات إيجابية مع الأبناء، وتكوين علاقات أسرية حميمة، كان لها أكبر الأثر على الإنجاز الأكاديمى للأبناء، والشعور بقيمة الذات(Lecroy,1988; Richards,et al.,1991;Wenk,D., et al.,1994).

وتعتبر جودة الحياة الأسرية من الموضوعات التى زاد الاهتمام بها فى الآونة الأخيرة نظراً لأهميتها فى توافق الأبناء على المستوى الاجتماعى، الانفعالى، والنفسى، ومن ثم رفع مستوى الصحة النفسية لديهم (Aznar&Casta,N.,2005; Turnbull,B.& Turnbull ,2006).

ويعزى مفهوم جودة الحياة الأسرية إلى السعادة الشاملة للأسرة والقدرة على إشباع احتياجاتها والاستمتاع بالحياة. وقد تم اشتقاق هذا المفهوم FQOL من مفهوم جودة الحياة QOL.

ويرى كل من براون وبراون Brown&Brown (٢٠٠٦) أن جودة الحياة الأسرية هى" الدرجة يحتاج فيها أفراد الأسرة إلى الالتقاء، والمدى الذى يستمتعون فيه بوقتهم معاً، والمدى الذى يكونون فيه قادرون على فعل أشياء هامة مع بعضهم البعض".

ويعرف إيزاكس وآخرون.Isaacs,et al (٢٠٠٧) جودة الحياة الأسرية بأنها" الأداء الجيد للوالدين فى الأسرة أو السعادة الأسرية". ويعتبر الرضا والفرص المتاحة لزيادة دخل الأسرة أو فرص الاشتراك فى أنشطة وقت الفراغ تعتبر من أهم مؤشرات جودة الحياة الأسرية.

وتعتبر جودة الحياة الأسرية ظاهرة تنمو وتتسع فى مجال بحوث الأسرة، وقد اهتمت البحوث فى جودة الحياة الأسرية على أساس معرفة مدى جودة حياة الفرد والممارسات الأسرية الخاصة به. وهى مفهوم معقد أو مركب(Denise,2003). ويرى جايون بارك Jiyeon,Park (٢٠٠١) أنه كما أن تعريف الأسرة فى المجتمع المعاصر تعريف معقد فإن تعريف جودة الحياة الأسرية يعتبر تعريف معقد، ويواجه تحديات كبيرة (Turnbull,et al.,2000).

وتتحدد جودة الحياة الأسرية بعدد من المظاهر الداخلية والخارجية، وترتبط المظاهر الداخلية بكيفية رؤية الأسر لأنفسهم من الناحية الوظيفية من حيث: الصحة، العلاقات الأسرية، المعتقدات الثقافية والدينية.أما المظاهر الخارجية لجودة الحياة الأسرية فترتبط بكيفية رؤية الأسر لأنفسهم من ناحية الأحداث الخارجية، وتتمثل فى:أ- السعادة المادية المتضمنة مصادر الدخل المختلفة، والتى تتمثل فى الرواتب،علاوات،التقاعد بسبب العجز، ب- الدعم من الآخرين فى المجتمع، جـ- الدعم من المؤسسات ومراكز الخدمات ذات العلاقة بالإعاقة (Brown, R., 2009).

** وترى الباحثة أنه قد يخلط البعض بين جودة الحياة الأسرية وأساليب المعاملة الوالدية التى قد تقتصر على أساليب التعامل التى يمارسها الوالدين أو أحدهما دون الآخر مع الابن، فى حين أن جودة الحياة الأسرية مفهوم شامل يتضمن جميع مظاهر الحياة الأسرية بما تتضمنه من أبعاد(الوالدية، التفاعل الأسرى، السعادة الانفعالية، الحالة المادية المتيسرة للوالدين)، ومن ثم يمكن اعتبار أساليب المعاملة الوالدية جزء من الحياة الأسرية وأن الحياة الأسرية مفهوم أكثر شمولية من أساليب المعاملة الوالدية.

مبادئ جودة الحياة الأسرية:

تتحقق جودة الحياة الأسرية عندما:١-تشبع احتياجات الأسرة.٢-يستمتع أفراد الأسرة بحياتهم معا.٣-تتاح فرص لأفراد الأسرة للقيام بأعمال أو أشياء مهمة معا.٤-على أساس القيم الشخصية والعائلية والرغبة فى الاختيار والتحكم/السيطرة ينبغى أن تتحقق الجودة.٥-يقوم على التفاعل بين أفراد الأسرة مع بعضهم البعض والأسرة ككل.٦-توظيف التفاعل فى المجالات المختلفة من خلال الأسرة(Denise,J.,2003).

ثانياً: مفهوم التفكير الإبداعي: Creative Thinking.

تعددت التعاريف التي تناولت مفهوم الإبداع، ويعزى ذلك الاختلاف إلى اختلاف مناهج الباحثين واهتماماتهم العلمية ومدارسهم الفكرية، وتشير المحصلة العامة لهذه التعاريف أن الإبداع سلوك إنساني متعدد الأبعاد، ينتج عنه أفكار وأفعال ومنتجات تتسم بالتفرد والجدة والأصالة وعدم الشيوع. حيث يعرف منير كامل(١٩٩٦) التفكير الإبداعي بأنه "الأسلوب الذي يستخدمه الفرد في إنتاج أكبر عدد ممكن من الأفكار حول المشكلة التي يتعرض لها" (الطلاقة الفكرية)، وتتصف هذه الأفكار بالتنوع والاختلاف (المرونة) وعدم التكرار أو الشيوع (الأصالة).

ويعرّف الإبداع بأنه "مزيج من الخيال العلمي المرن، لتطوير فكرة قديمة، أو لإيجاد فكرة جديدة، مهما كانت الفكرة صغيرة، ينتج عنها إنتاج متميز غير مألوف، يمكن تطبيقه واستعماله، وعادة ما يكون الطفل المبدع لديه حب الاستطلاع، والرغبة في فحص الأشياء وربطها معاً وطرح الأسئلة باستمرار، واستعمال كل حواسه في استكشاف العالم المحيط من حوله".

وترى نايفة القطامي (١١،٢٠٠١) أن الإبداع ظاهرة ذهنية متقدمة، يعالج فيها الفرد الأشياء والمواقف والخبرات والمشكلات بطريقة فريدة أو غير مألوفة أو بوضع مجموعة حلول سابقة والخروج بحل جديد. وقد عرض جميل الطهراوي (٢٠٠٦) أكثر المفاهيم تكراراً في توضيح مفهوم الإبداع: الإتيان بالجديد، الإتيان بالأمور غير المعروفة، التفكير بطريقة غير تقليدية، التفكير بنمط مختلف عن الآخرين، التفكير التجديدي، التعامل مع القضايا بطريقة غير معروفة، إعادة ترتيب مفردات الواقع بشكل جمالي.

ويرى "أحمد جبر"(٢٠٠٠) أن الإبداع سلوك إنساني متعدد الأبعاد، ينتج عنه أفكار وأفعال ومنتجات، تتسم بالتفرد والجدة والأصالة وعدم الشيوع. والإبداع بالمفهوم التربوي عملية تساعد المتعلم على أن يصبح أكثر حساسية للمشكلات وجوانب النقص والثغرات في المعلومات واختلال الانسجام، وتحديد مواطن الصعوبة، والبحث عن حلول وتكهن وصياغة فرضيات واختبار هذه الفرضيات، وإعادة صياغتها أو تعديلها من أجل التوصل إلى نتائج جديدة ينقلها المتعلم للآخرين.

وترى الباحثة أن الإبداع هو " قدرة وطاقة واستعداد يكتسبه الطفل من خلال التركيز المنظم على دعم قدراته العقلية وإرادته وتجاربه ومعلوماته، وأسلوب يمكن صاحبه من كشف سبل جديدة في العالم الذي يحيط بنا والخلاص من الملل والتكرار، لذلك يصبح الإبداع المادة الأساسية للطفل في عمليات التغير والتطوير".

ويبدأ الابداع بالتفكير، الذي يوصل صاحبه إلى المنجز الابداعي، هذا التفكير الذي يحتاج إلى تنمية، واذ ينشأ مثل هذا النوع من التفكير لدى الانسان منذ الصغر، وينمو بالاطلاع والتجريب، ويتطور بالمواظبة والمثابرة، فإن أيبداع يحتاج إلى مراعاة توفر الاستعداد لدى الطفل كما يحتاج إلى تنمية وتشجيع وتوجيه من الأبوين والأهل أولا داخل الأسرة ومن المعلمين والمشرفين والمدربين في المدرسة، ويتواصل في الجامعات والأندية والروابط والمراكز الثقافية والاجتماعية والرياضية.

وتعتبر السنوات المبكرة في حياة الطفل هي الأكثر حرجاً، ففيها تبدأ عملية تشكيل المراحل الأساسية للجهاز النفسي، وتتضح عناصر التفكير وتكتسب الشخصية قوامها وانسجامها، وتلعب الأسرة والمدرسة والبيئة دوراً كبيراً في تشكيل شخصيته وتفكيره الابداعي عن طريق التعرف على ما يمتلك من قدرات وتوظيفها مستقبلاً في أعمال وأفكار ابداعية.

ويعد الاهتمام بالطفل خلال مراحل نموه المبكرة من الأمور الهامة والحاسمة في حياته، وخاصة في سنوات الطفولة الأولى. حيث يبدأ يكتشف ما حوله من مكونات واستخدام اللغة، يرافقها حب الاستطلاع والتعرف على الأشياء واكتشافها من خلال رؤية تشكيلاتها ولمس سطوحها، وسماع أصواتها، والتعرف على مذاقها ورائحتها. والتي يجدها تختلف من مثير لآخر.

وقد أشار تورانس Torrance (١٩٨٧) أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل تعتبر حاسمة لتنمية القدرات الإبداعية، حيث يظهر لديهم الخيال الواسع من خلال ألعابهم والقصص التي يطرحونها. وقد أكد على أهمية استخدام مختلف الوسائل والأساليب التربوية الملائمة لمساعدة الطفل على تنمية إبداعاته، ويمكن تلخيص أهم العوامل المؤثرة في نمو التفكير الإبداعي لدى الأطفال على النحو التالي:

- تطوير نوع من العلاقات الحميمة القائمة على الحب والاحترام المتبادل بين الطفل ووالديه والأفراد المحيطين به في الأسرة.
- البعد عن استخدام أساليب التخويف، وإبعاد الطفل عن مكامن الخوف وخاصة الخوف من الوقوع في الأخطاء وترك الفرصة للطفل ليقوم بمحاولاته المتعددة، حيث أن الخوف من الوقوع في الخطأ يعيق العملية الإبداعية. وينبغي أن يكون تعليم وتدريب الطفل بشكل هادئ يقوم على التسامح والتغاضي في حالة الخطأ ودفعه إلى مزيد من الاكتشاف والتجريب، وهذه تشكل أحد أساسيات التفكير الإبداعي (Torrance, 1987).
- حث الطفل على استخدام الخيال وتجاوز الأشياء المحسوسة المألوفة، والتحرك بحرية بين الواقع والخيال، ومحاولة تكوين افتراضات وتكوينات خيالية، واستخدام أسلوب الدعابة والمرح وجعل الطفل يشعر بحالة من الاسترخاء مما يساعد على مزيد من التحلل من الالتزامات الواقعية المحيطة، ومساعدتهم على تحمل صور الغموض المرافقة للمواقف الخيالية. فارتباط الطفل بالأمور الواقعية وبشكل مستمر يجعله لا يرغب أو يستحسن التفكير الخيالي (Torrance,1987; Davis,1990).
- تربية الطفل على المرونة في التفكير وعدم التصلب، وترك الحرية للاختيار واتخاذا القرارات، ومحاولة غرس حلول جديدة، وعدم الاعتماد على حلول مسبقة قد يجدها الطفل جاهزة وسهلة لاستخدامها وبالتالي لا يكلف نفسه بعناء التفكير والبحث عن طرق وأساليب أخرى، فمن الأهمية تشجيع الطفل على الاستقلالية في الوصول إلى حلول جديدة ومتنوعة للموضوعات والمشكلات التي يواجهها بشكل منفرد، وعدم الاعتماد على الآخرين لإيجاد تلك الحلول (Torrance, 1987).
- ينبغي أن تكون توقعات الآباء والأمهات لأداء الأبناء ليست بالمنخفضة بحيث يدفع الطفل إلى الشعور بضعف الثقة بالنفس وعدم الإحساس بتقدير أدائه، ومن جهة أخرى يجب أن لا تكون أيضاً توقعاتهم مرتفعة لأداء أبنائهم بشكل كبير بحيث يشعر هؤلاء الأبناء بالعجز والإحباط في حالة عدم الوصول إلى تلك التوقعات، فضغوط الأهالي للوصول إلى أداء عالٍ وبشكل مستمر يعرض هؤلاء المبدعين إلى كثير من الإحباط والقلق والتوتر للوصولً إلى المستوى الذي يتطلع إليه آباؤهم وأمهاتهم وبالتالي ينعكس سلباً على إبداعاتهم وطريقة تفكيرهم وإنجازاتهم. فالشخص المبدع يحتاج إلى بيئة تتميز بمستوى منخفض من القلق والتوتر والضغوط المختلفة (Rimm, 1995).
- البعد عن المشاحنات الأسرية والنزاعات بين أفراد الأسرة وتحقيق مناخ يسوده الاطمئنان والألفة. وعدم وضع شروط للقبول للأبناء في الأسرة على أساس الإنجاز أو التحصيل الأكاديمي ولكن قبولهم كأبناء يشعرون بالدفء والحب الأسري بغض النظر عن سلوكياتهم، وتحقيق بيئة آمنة تحقق الراحة والاسترخاء مما يدفع إلى مزيد من الخيال للوصول إلى إبداعات ذات طابع فريد وأصيل (Silverman, 1991).

هذا؛ وقد تعددت الأبحاث والدراسات التي تناولت الأساليب التربوية المناسبة من قبل الأسرة لتنمية القدرات الإبداعية لدى الأبناء، حيث أظهرت نتائج تلك الدراسات أن التربية المتوازنة القائمة على الاحترام والتقدير للطفل وإعطائه الحرية في طرح أفكاره وآرائه من خلال نقاشاته وحواراته، يغرس الثقة بالنفس والشعور بقيمة الذات، ويدفعه إلى السلوك الاستقلالي، ويرفع من دافعيته وحبه للاستطلاع ويشجعه على الانفتاح على تجارب أخرى جديدة (Torrance, 1987; Milgram,1990; Csiksyentmihaly,1991; Cropley,1992)

كما أوصت بعض الدراسات بعدة أساليب للتعامل مثل: عدم المبالغة في الثناء والمدح للطفل المبدع وتفضيله على من حوله من أخوة، فهذا قد ينعكس سلباً على إبداعاته فقد يشعر بالتميز وبالتالي يكون مشغولاً بالمكانة التي حققها داخل الأسرة، ويبدأ يستمد قوته منها، ويبتعد عن تطوير إبداعاته، وقد أشار ويب وميكستروث وتولان Webb, Meckstroth &Tolan (١٩٨٢) إلى أهمية أن يشعر الطفل المبدع باستحسان الآخرين والشعور بأهميته من خلالهم ولكن ألا يؤثر عليه سلباً في إبداعاته وتوافقه مع الآخرين.

وقد أكد ديفيس Davis (٢٠٠٣) على أهمية غرس السلوكيات من خلال التربية الأسرية حيث أورد العديد من الخصائص اللازمة للعملية الإبداعية وما يقابلها من سلوكيات ينبغي إشباعها ومراعاتها عند التعامل والتفاعل مع الطفل وخاصة في المراحل الأولية من عمر الطفل، ومتابعتها خلال مراحل النمو المختلفة سواء كان داخل الأسرة أو عند التحاق الطفل بالمدرسة.

جودة الحياة الأسرية وتنمية القدرات الابداعية:

مما لا شك فيه أن الأسرة هى المنوطة فى المقام الأول بتكوين الجوانب المختلفة لشخصية الطفل خاصة في مراحل النمو المبكرة حيث يرى علماء النفس أن السنوات الأولى في حياة الطفل هي التي تكون شخصيته وتحدد سلوكه وأسلوب تفكيره الذي سيواجه به مشوار حياته الطويل، ويتطلب ذلك أن يكون لدى الآباء وعي تربوي لتوفير جو أسري ملائم وعناية دقيقة تجاه الصغار لتكسبهم الشخصية السوية وحتى تهيئهم للحياة المدرسية فتتولاهم المدرسة لتكمل الدور التربوي فيحدث تكامل بين دور الأسرة والمدرسة في بناء المفاهيم والجوانب المعرفية، وأهم هذه الجوانب تنمية القدرة على التفكير الابداعى، تلك القدرة الإنسانية التي يعزى إليها ما أحرزته البشرية من انتصارات ومنجزات، ومما لا يدعو مجالا للشك فإن الأبوين يمثلان لأطفالهما المادة الخام للمخزون المعرفي والاجتماعي الذي يعتمدون عليه على مدار كافة مراحل نموهم ونشئتهم؛ ومن ثم فإن الأسرة هي من يقع على عاتقها في المقام الأول تقديم النموذج الفاضل الذي ترغب في نقله إلى الأبناء واستنباط مواهبهم وقدراتهم المتنوعة.

ويفيد العديد من علماء النفس أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل هي الأكثر فاعلية في تنمية قدراته الإبداعية؛ خاصة مع ما يلاحظ لديهم في هذه السنوات من سعة خيال ومهارات تكشف عنها ألعابهم ووسائل الترفيه التي يميلون إليها والأسئلة التي يطرحونها على الوالدين والمعلمين. وهذا لا يعني أن الإبداع ينتهي بمرور هذه المرحلة العمرية؛ حيث أن تنمية التفكير الإبداعي لا تتقيد بسن معين وإن كان تحفيزها منذ الصغر هو الأسلوب الأكثر إيجابية. لذا فإن متابعة الأطفال والعناية بهم، وتنويع الخبرات التعليمية التي يكتسبونها في سن مبكرة، مثل: القراءة، والتشجيع، ومنح الثقة، والتدريب على اتخاذ القرار، والتنظيم، والتقبل، والجو الانفعالي الإيجابي، كل ذلك يسهم في تدعيم ثقة الطفل بالآخرين، وشعوره بأنه قادر على الإنتاج. وكلما كانت أسرة الطفل تتمتع بمستوى عال من الثقافة أو العلم، وتتوافر لديها اتجاهات إيجابية وواعية بأهمية الإبداع وتنميته لدى أطفالها، تزايدت احتمالية الاهتمام بالطفل وتقديم المساعدة له، وبالتالي زادت فرص ظهور الإنتاج الإبداعي عند الأطفال.

بالإضافة إلى أن الطفل في هذه المرحلة من العمر تكون لديه القدرة على التعبير عن احتياجاته ومطالبه وأحاسيسه ومشاعره ويستطيع أن يقوم برسم بعض الرسومات البسيطة أو ممارسة بعض الألعاب الفردية أو الجماعية التي يتعلم من خلالها النظام والتعاون الاجتماعي، ففي هذه المرحلة يكون خيال الطفل خصباً فيختلق بعض القصص والحكايات ويتخيل اللعب الخاصة به شخصيات حقيقية، وفي هذه الحالة يجب مشاركة الطفل في تخيلاته وعدم إظهار الدهشة إذا ما رسم الطفل وجه أي شخص بطريقة غريبة بل يجب تشجيعه حتى يتعلم الرسم بطريقة سليمة.

فى حين تلعب بعض أساليب التربية غير السوية دورا فى إضعاف التفكير الإبداعى، حيث يلعب التسلط بمختلف مستوياته، فى إطفاء الرغبة التي تتعاظم يوماً بعد آخر في التعبير عند الأطفال، بل إنه قادر في كثير من الحالات أن يلغيها ويدمرها وإحباط روح الاستقلال والتمكن من معرفة العالم المحيط . كما تتبع الأسرة بعض الأساليب التى من شأنها إضعاف القدرات الابداعية عند الطفل دون دراية منها بذلك مثل: توجيه بعض الألفاظ السلبية للطفل كالقول له، أنت ضعيف، أنت غبي، عدم تشجيع المحاولة وتعزيز خبرات النجاح، عدم تشجيع الطفل على التعلم والاستكشاف، التعليقات السلبية والاستهزاء بأفكار الطفل ومحاولاته الابداعية، زرع الخوف والخجل من الكبار ورموز السلطة، عدم تشجيع الطفل على إبداء رأيه ووجهة نظره، اتباع الأسلوب التلقيني في التعليم، عدم إعطاء الطفل الفرصة للقيادة والتخطيط، تعويده على الاعتماد على الآخرين والتبعية لهم.

كما تلعب العوامل الاقتصادية للأسرة دوراً مهماً في توفير الوسائل والوسائط التعليمية داخل الأسرة، التي تُعد من الأمور الأساسية التي ترتبط بالحاجات الضرورية للطفل. فكلما تمتعت الأسرة بمستوى اقتصادي جيد، كانت لديها القدرة على دعم الأعمال والمشروعات التي يرغب الطفل بتنفيذها. وكذلك تتمكن الأسرة من إثراء البيئة وتوفير المصادر وتنويعها لغايات تنمية إبداعات أطفالهم.

هذا وقد أكدت كثير من البحوث العلمية أن أكثر ما يميز آباء الأطفال المبدعين هو احترام الآباء وثقتهم في قدرة أبنائهم على أداء عمل مناسب، مع إعطاء الأبناء الحرية الكاملة في اكتشاف عالمهم، واتخاذ قراراتهم في ممارسة الأنشطة بأنفسهم دون تدخل من الكبار، كما أكدت الدراسات أهمية أنماط التربية الأسرية في التنشئة، والبُعد عن نمطي التدليل الزائد، والحماية الزائدة، وتوفير الاستقلالية في ممارسة الأنشطة المختلفة.. كل ذلك يساعد على تفجير طاقات الطفل الابتكارية. وأن التربية الابداعية الخلاَّقة للأطفال، تتيح لهم حل المشكلات التي تجابههم، وتبث فيهم روح الاكتشاف العلمي مع عدم تَقَبُّل الأمور على علاتها وتنمية قدراتهم من خلال الملاحظة، وبذلك نصل إلى إثارة قدرات الطفل الابداعية الكامنة، والتي يجب على المربين استثمارها بأشكالها المختلفة. كما يوصى التربويون بالابتعاد عن تأنيب الأطفال ولومهم على إبداعاتهم الخاطئة، وبعدم تعرضهم للحماية المبالغ فيها، أو الإسراف في التدليل، والتعامل مع أسئلة وخيال الأطفال باحترام، وإظهار الاهتمام المباشر بما يقدمونه ويطرحونه ويتساءلون حوله، لأجل تنمية إحساسهم بالتذوق الجمالي من خلال توجيه انتباههم إلى كل ما هو رائع ومنسق ومنتظم داخل البيت أو الحضانة والمدرسة والشارع أو في الأماكن العامة .

كما أن للأسرة دور مهم في تكوين البناء المعرفي لدى الطفل حيث تستطيع الأسرة أن تنمي في طفلها القدرات الإبداعية إذا هيأت له فرص البحث والتنقيب والاطلاع وزودته بالمعارف والمعلومات، وأتاحت له فرصة الاشتراك في الرحلات العلمية الاستكشافية ووفرت له الكتب والمجلات والمراجع وشجعته على قراءتها على شرط أن تتفق مع مستوى قدراته العقلية، وكذلك إذا وفرت له جواً يتسم بالحرية الفكرية وفرص التعبير الصريح عن الذات. وحيث أن الإبداع ينمو ويزدهر إذا تمتع الطفل بالصحة العقلية السوية فان حرص الأسرة على أن تهييء جواً خالياً من الأزمات والانفعالات الحادة والتوترات وخبرات الفشل والاحباط والصد والزجر فإن ذلك ولا شك يؤدي إلى تكوين الطفل تكويناً سليماً، ومن ثم ينعكس أثره على قدرته في الخلق والابداع.

كما أن الإبداع لا يعتمد على الذكاء وحده، بل يعتمد على كثير من العادات الذهنية والسمات التي تلعب الأسرة والمدرسة دوراً أساسيا في تكوينها. وقد دلت الدراسات أن الآباء الذين يشغلون الوظائف الفنية التخصصية الراقية يوفرون بيئة تعليمية مثيرة ومشجعة لأبنائهم كأن يتوفر للطفل الغذاء الجيد والكتاب والمجلة والمذياع والتليفزيون والأحاديث الراقية. إن مؤدى هذه الدراسات هو أن هناك تأثيراً للعوامل البيئية على نمو القدرة الابتكارية، وهناك دراسات أخرى أوضحت أن البيئة المثبطة عقلياً للطفل تؤدي إلى انخفاض القدرة الابتكارية، فحرمان الطفل من الاتصال الطبيعي بالأم يخفض القدرة الابتكارية، ومن الآثار الإيجابية على نمو القدرة الابتكارية لدى الطفل مقدار الساعات التي يقضيها معه الأب وكذلك فرص اللعب البنائي أمام الطفل، وعدد الساعات التي يقضيها الأب في القراءة مع ابنه، فالعوامل البيئية تؤثر على نمو القدرة الإبداعية وتؤثر بالقطع في كيفية استخدام الإبداع وتحدد الوجهة التي يتخذها إبداع الفرد فإما أن يتجه نحو الخلق والإبداع والابتكار في العلم والتحصيل والأعمال الإيجابية النافعة وإما أن يتجه نحو الإبداع في مجال السرقة والجريمة والانحراف.

كما ينبغي للأسرة إشباع عددا من الحاجات النفسية منها إلى الحب والانتماء والاستقرار والتقدير، وأن تشجع الطفل على النجاح وأن توفر له الحرية وأن توجهه وتنمي فيه الحاجة إلى المعرفة وتشجعه على ممارسة النشاط الذاتي لأن هناك أشياء لا يمكن تعليمها إلا عن طريق بذل النشاط الذاتي مثل السباحة.

وقد أكدت الأبحاث والدراسات العلمية أهمية موهبة الإبداع والابتكار عند الأطفال لأنها تسمح لهم بالتفكير السليم وتساعدهم على التوصل إلى أنسب الحلول لمشاكلهم. فموهبة الإبداع والابتكار تشغل كيان الطفل وتفكيره ومشاعره منذ المراحل الأولى من العمر وتساعده على النجاح في حياته الدراسية والاجتماعية فيما بعد، وهي أحد المفاتيح المهمة في تكوين شخصيته فينمو بطريقة طبيعية ولا يصاب بالانطواء والتوتر النفسي، ولذا يجب إتاحة الحرية الكاملة للطفل لكي يكتشف موهبة الإبداع والابتكار عنده دون الاعتماد على الآخرين.

فقد ثبت أن بعض الأجهزة والأدوات تساعد على الابتكار أكثر من أي نوع من اللعب، وبالنسبة للطفل في سن الثانية فإن الأشياء التي تقدم له يجب أن تكون بسيطة التركيب. إن هناك بعض أنواع اللعب التي تتم صناعتها من بعض الأدوات المنزلية تساعد على تنمية الإبداع والابتكار أكثر من اللعب المعقدة التركيب فهناك بعض اللعب الخاصة بالطفل يمكن صناعتها من الصناديق (الورق المقوى) الفارغة وغيرها، ومن أهم الأدوات التي تساعد على تنمية الموهبة عند الطفل الصغير بعض اللعب المصنوعة من الطين والصلصال والتي تساعد على الابتكار دون الاعتماد على الآخرين. وهناك بعض أنواع الأدوات المنزلية مثل قطع القماش والإسفنج والقطن يمكن أن يقوم الطفل بتصنيع بعض أنواع اللعب منها مثل العرائس والحيوانات. وخلاصة القول يجب إتاحة الحرية الكاملة للطفل في ابتكار تكوين الأشياء التي يريدها من هذه الخامات.

تنمية التفكير الابداعي:

يتوافر التفكير الإبداعي في الانسان كقدرة من قدرات الفرد يمكن تنميتها بنفس الطرق التي تنمى بها المهارات، مثل: احترام الأفكار الإبداعية الجديدة وتعزيزها من قبل الكبار والمحيطين عامة، وعدم توجيه الانتقاد أو التجريح للأفكار الابداعية أو السخرية من أصحابها. وكذلك اتباع سياسة الانفتاح والمرونة في توجيه الابن/الطالب، سواء في البيت أو المدرسة، مع تنبيه من يحاول الإبداع إلى الأخطاء والهفوات وأوجه النقص إن وجدت، وكذلك إعطاء الأبناء والتلاميذ الوقت الكافي والمناسب للتأمل في أفكارهم ونقدها نقدا ذاتيا وتطويرها.

وهناك محورين أساسيين لتنمية التفكير الابداعي هما:

١- **الأسرة:** لقد اظهرت العديد من الدراسات أهمية دور الأسره في تنمية التفكير الابداعي وذلك من خلال المحورين التاليين: أ- الجو الأسري: إن الأطفال الذين ينشأون في أسر ذات جو أسري متفتح يتيح لهم فرص التعبير ويشجعهم على التخيل والقيام بالأعمال الصعبة التي تتحدى قدراتهم، كما تكون لديهم الفرصة الأكبر من غيرهم في إظهار الأفكار الجديدة المبتكرة. كذلك فدرجة مرونة الأسرة في السماح لأولادهم بالقيام بالأنشطة الاستطلاعية له أثر كبير في تنمية التفكير الابداعي، ويزداد التفكير الابداعي لدى الأبناء كلما أتاح الجو الأسري لهم فرص القراءة والاطلاع في شتى المجالات، كذلك كلما أتيح لهم الفرصة لتوجية الأسئلة والمناقشة دون تلقي الحلول الجاهزة من قبل الوالدين. ب- المعاملة الوالدية: الأولاد الذين يشعرون بحب والديهم دون إسراف في التدليل، كذلك الذين يشعرون بأن والديهم يثقون في قدراتهم، واختياراتهم ويتركون لهم هامشاً من الحرية في الاختلاف معهم، كذلك الذين لا يتعرضون كثيراً للعقاب خاصة البدني منه، تكون فرص هؤلاء أكثر في زيادة قدرتهم على التفكير الإبداعى.

٢- **المدرسة:** يأتي دور المدرسة ليغذي ويدعم ما بدأته الأسرة والبيئة المدرسية تكون ميسرة للتفكير الابداعي حينما تشجع التلاميذ على الكشف والاستكشاف والبحث وحينما تتحدى تفكيرهم وتشجعهم على حل المشكلات بطريقة ناقدة وعلى اتخاذ القرارات المناسبة. وتلعب المدرسة تلعب دوراً هاماً في تنمية التفكير الابداعي من خلال المحاور التالية:

أ -الفصل المدرسي: إن مجموعة المواقف والخبرات العقلية والانفعالية والاجتماعية والثقافية التي يوفرها الفصل المدرسي للتلاميذ من خلال عمليتي التعليم والتعلم لها بالغ الأثر على استثارة وتشجيع وتنمية التفكير الابداعي لديهم.

ب- المعلم: العمود الفقرى للعملية التعليمية، ومن ثم وجب عليه أن يكون مصدرا لتوفير بيئة مشجعة لتلاميذه على التفكير الإبداعي وأن يهتم بثقافة الإبداع أكثر من ثقافة الذاكرة. كما ينبغى على المعلم أن يدرس بالأساليب الحديثة فى التدريس والتى من شأنها أن تنمي قدرة التلميذ على ربط وإعادة تنظيم العناصر المختلفة بطرق جديدة تتسم بالطلاقة والمرونة والاصالة، وهو مجموعة الاجراءات والأساليب غير التقليدية التي يقوم بها المعلم داخل الفصل أثناء تفاعله مع التلاميذ بغرض تنمية الابتكار لديهم وتشتمل على الأسئلة الصفية المثيرة للتفكير الابداعي، واستجابة المعلم وسلوكه المحفز للتفكير الإبداعي، وتهيئة الجو والبيئة الصفية الداعمة للتفكير الابداعي.

ج-مدير المدرسة:

يجب أن يكون مدير المدرسة له الخبرات والخصائصالتى تمكنه من توفير مناخا يساعد المعلم على تنمية التفكير الابداعي، وذلك من خلال تسهيله لعملية الاتصال بين المعلمين في مدرسته وسائر المؤسسات والمراكزالتى تهتم بتنمية التفكير الابداعي، وأن يكون ذا أفق واسع قادرا على حل المشكلات والتعامل مع المواقف الصعبة.

ث-المناهج المدرسية:

من المفترض أن يحتوي المنهج على أنشطة ابتكارية تساعد التلاميذ علي تنمية التفكير الإبداعي مثل الرياضة والتربية الفنية، كذلك لابد أن تعزز المناهج أنشطة الابتكار وذلك باعتمادها على أسلوب حل المشكلات، وتعزيز مهارات التفكير النقدي الذي من شأنه أن يساعد على تنمية التفكير الابداعي.

د- الأنشطة المدرسية:

أنشطة الفصل لابد أن تكون متنوعة ومتتابعة وأن تحتوي على مهارات شخصية تساعد على تنمية التفكير.

وبالتركيز على الأسرة موضوع اهتمام البحث نجد أن هناك العديد من الجوانب المناخية في الأسرة يمكن أن تساعد على تنمية الإبداع من أهمها:

١-التأكيد على استخدام الأساليب السوية فى التنشئة:

من المهم تخليص المناخ الأسري من الأساليب غير السوية في التنشئة مثل القسوة أو التدليل الزائد أو الإهمال والنبذ أو التفرقة في المعاملة بين الأبناء أو التذبذب في اتخاذ القرارات، واستخدام الأساليب السوية التى تقوى من شخصية الطفل وتنمى قدراته الإبداعية

٢- توفير بيئة للعب:

من الضرورة أن نهيئ للطفل بيئة تساعده على الاكتشاف واللعب من غير قيود وخوف من تخريب أثاث المنزل أو تكسير الأواني، وحتى في البيوت المغلقة، والتي لا تجد مساحة كافية لتهيئة مثل هذه البيئة، فحدد مكان في غرفته أو ركن في البيت ليكون مكان لعبه واكتشافاته.

٣- التكيف مع أفكارهم:

قبول أفكار الأطفال دون تسفيهها أو وضع قيود عليها، ومحاولة النزول لفهمهم، ومجاراتهم في أفكارهم، حتى لا نوقف عملية توليد الأفكار، والتي هي أحد أهم أسس الإبداع، ولا يمنع من تعديل بعض الأفكار الخاطئة بحكمة ولين دون إبداء العنف، لأن ذلك من شأنه إعاقة توليد الأفكار.

٤- الحلول الجاهزة:

أعط الطفل فرصة ووقتاً كي يكتشف جميع الإمكانات، والحلول، واجعله يتحرك من العموميات إلى الأفكار الأصلية، وإياك وتجهيز الحلول له قبل إعطائه هذه الفرصة. إن بعض الآباء يظن أنه عندما يقوم بإعطاء الأجوبة الجاهزة يساعد أبناءه على النمو الفكري، والحقيقة غير ذلك تماماً، حيث إن ذلك يقتل عنده قدرة التفكير بحلول جديدة، أو حتى محاولة التفكير بحلول.

٥- طرق التفكير:

ركز على طرق التفكير أكثر من التركيز على النتائج، فليس مهماً أن يكسب المسابقة، أو يحصل على المركز الأول بقدر ما يهم ما قام به من طرق للتفكير تصل به لذلك الحل، وذلك بالثناء على طرق تفكيره أمام الآخرين ورصد هدايا للحلول الصحيحة وهدايا لطرق التفكير السليم.

٦- إعطاء الفرصة للمغامرة:

إعطاء فرصة للطفل للتحدي والمغامرة عن طريق بعض الألعاب والمنافسة بينه وبين إخوانه، أو بعض الألعاب الالكترونية، وهذا سيساعده كثيراً على رؤية أفكار جديدة في الطريق. فهناك الكثير من الألعاب التي تساعد على تنمية روح الإبداع والحلول، وخاصة ألعاب التركيب.

٧-المناقشة والحوار الفعال والتفاعل معهم:

أ- التحدث مع الأطفال ساعة كاملة يومياً على أقل تقدير عن أنشطتهم اليومية، وكيفية قضاء أوقاتهم في الروضة أو الابتدائية، وعن أساتذتهم أو معلماتهم، ومن هم أصدقاؤهم في المدرسة، وما هي أنشطتهم في البيت، ومع أقاربهم، أو خارج البيت في النوادي ومع أصدقائهم، وعن مشاكلهم، وكيف وضعوا لها الحل، وعن علاقاتهم بمعلميهم.

وللتحدث مع الأطفال فوائد كثيرة من أبرزها:أ- تعلم أفكار جديدة: فالأطفال ليسوا كالكبار الذين تشكلت عقولهم، وأخذت قوالب معينة، فمازالت عقولهم غضة، ولا تحدها أية حدود أو قيود، وبالتالي فإن الحديث معهم بالرغم من أهميته في نموهم وتطورهم، إلا أنه يفيد الكبار أكثر، لأنهم يتعلمون منهم الكثير من الأفكار الجديدة، والابتكارات التي لا تخطر على بالهم، ويتعلمون منهم كيف يفكر الأطفال حتى يستفيدوا من ذلك لوضع الحلول، والكثير من مشاريعهم.

ب- نمو العاطفة والحب: إن الحديث مع الأطفال، وتخصيص وقت لذلك، بعيداً عن الأوامر اليومية (افعل كذا، ولا تفعل كذا، وهذا عيب، وهذا خطأ) سبب رئيس لتنمية الحب والعاطفة، والتي هي ضرورية جداً لغرس القيم وإيصالها إليهم، لأنهم عند نمو الحب والعاطفة مع والديهم يكونون مهيئين أكثر لاستقبال تلك القيم والتوجيه. ج- اكتشاف الأفكار الخاطئة التي اكتسبوها من البيئة التي يحتكون بها يومياً، ومن ثم سهولة إصلاح هذه الأفكار، ولولا مثل هذه المحادثة لكان من الصعب بمكان اكتشاف مثل هذه الأفكار الخاطئة.

٨- التخلى عن التفكير التقليدى:

يجب على الآباء أن يتخلوا عن النفكير التقليدي لأنه لا يأتي بجديد. بل إن الإبداع بمفهومه العلمي هو الذي يأتي بالتقدم والتطور، لذلك على الأسرة ملاحظة تصرفات الطفل التي تتسم بداياتها بحب الاستطلاع وكثرة الأسئلة، مما يتوجب عليها إعطاء الرعاية لهذه الظاهرة والعمل على إشباعها بالإجابات المنطقية التي تناسب سنه تمهيدا لتطوير ظاهرة المعرفة المبكرة والتي يتلوها الإبداع، فدور الأسرة الحاضن الأول والرئيسي للطفل في بداية حياته عليها مسؤولية اكتشاف ورعاية وتنمية مواهب أبنائها، وقد تعجز الأسرة عن قيامها بهذه المهمة تجاه الأبناء إما بسبب نقص الخبرة أو عدم توفر الطرق السليمة أو المعلومات الكافية للتعامل مع الأبناء في هذه المرحلة، لذلك على الأسرة أن تقوم السلوك وتحويل الأخطاء إلى فرص للتعلم. ومن خلال الحوار والنقاش تنمو الثقة بالنفس عند الطفل إضافة إلى العلاقة الطيبة بين الوالدين بمعنى اعطاء الجو العائلي صفة الهدوء وعدم التوتر أمام الأطفال، وإعطاء الاهتمام الكافي لأوقات الدراسة وأداء الواجبات وتوجيه أسئلة شبه يومية إن أمكن للأبناء عن بعض ما يتلقون من تعليم في المدرسة، والتحقق لاستيعابهم للمواد التعلمية المناسبة لأعمارهم ... مما يعني ترسيخ منهج التفكير العلمي عند الأطفال، إضافة إلى عنصر التواصل مع المدرسة لمعرفة ملاحظة المعلمين عن الأبناء وخاصة الملاحظات الإيجابية التي تخص التفكير الابداعي عند الأبناء لترسيخها وتعزيزها لتكون نواة للإبداع والتميز مستقبلا ... ولا يعني أن يغفل الأهل عن معرفة أسباب بعض السلوكيات السلبية لإزالة هذه الأسباب بعد معرفتها بالتعاون والتشاور مع الهيئة التدريسية لأعود مرة ثانية إلى الإبداع والتميز الذي هو الهدف الأساسي هنا لأقول لا يكفي أن يكون الإبداع مستندا فقط على اهتمام الأهل والمدرسة فنحن في عصر الكمبيوتر والانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ... مما يترتب على الأهل مراقبة استخدامات الأبناء لهذه التكنلوجيا لتكون نتائجها إيجابية ومفيدة دون الإغفال عن ضرورة توفير مصادر المعلومات التي تناسب المرحلة العمرية كمكتبة صغيرة في البيت أو المدرسة مثلا، إضافة إلى نشر الوعي الصحي عند الطفل ليكون في حالة صحية جيدة في جميع الظروف باتباع السلوكيات الصحية الجيدة.

٩-تنمية حب الاستطلاع والاكتشاف والقراءة وحب المعرفة لدى الطفل.

إذ أن تنمية حب الاستطلاع والثقة بالنفس يزيد من رغبة الطفل في العمل فيتفاعل مع بيئته بكل ثقة، والذى من شأنه أن يسهم في تطوير قدراته الإبداعية، على أن يصاحبها تحرير الطفل من الخوف، إذ أن الخوف من ارتكاب الخطأ يعيق السير في طريق الابداع، بينما نجد أن التعامل بهدوء وبتسامح يشجع الأبناء على اختيار البدائل التي تصل بهم إلى النجاح، كذلك فإن تشجيع التخيل وتشجيع التحرك الحر من الخيال إلى الحقيقة لإنتاج بدائل تتسم بالتفرد والأصالة، مما يكون من شأنه تنمية التفكير الإبداعي، وكذلك الاهتمام بمبادرات الأبناء وتقبل أفكارهم وإن كانت غريبة.

١٠-ممارسة الهواية:

من المهم أن يمارس الطفل هوايته وميوله خاصة في فترات العطل والإجازات، فإن ذلك أدعى للتفوق فيها والإبداع، مع صقل الموهبة والارتقاء بها من خلال الممارسة العملية.

١١- قصص الموهوبين:

من وسائل التعزيز والتحفيز: ذكر قصص السابقين من الموهوبين والمتفوقين، والأسباب التي أوصلتهم إلى العَلياء والقِمَم، وتحبيب شخصياتهم إلى الطفل ليتَّخذهم مثلاً وقدوة، وذلك باقتناء الكتب، أو أشرطة التسجيل السمعية والمرئية والسى دى ونحوها، مع الانتباه إلى مسألة مهمة، وهي: جعلُ هؤلاء القدوة بوابةً نحو مزيد من التقدم والإبداع وإضافة الجديد، وعدم الاكتفاء بالوقوف عند ما حقَّقوه ووصلوا إليه .

١٢- المعارض:

من وسائل التعزيز والتشجيع: الاحتفاءُ بالطفل المبدع وبنتاجه، وذلك بعرض ما يبدعه في مكانٍ واضحٍ أو بتخصيص مكتبة خاصة لأعماله وإنتاجه، وكذا بإقامة معرض لإبداعاته يُدعى إليه الأقرباء والأصدقاء في منزل الطفل، أو في منزل الأسرة الكبيرة، أو في قاعة المدرسة.

١٣- المكتبة وخزانة الألعاب:

الحرص على اقتناء الكتب المفيدة والقصص النافعة ذات الطابع الابتكاري، المرفق بدفاتر للتلوين وجداول للعمل، وكذلك مجموعات اللواصق ونحوها، مع الحرص على الألعاب ذات الطابع الذهني أو الفكري، فضلاً عن المكتبة الإلكترونية التي تحوي هذا وذاك، من غير أن ننسى أهمية المكتبة السمعية والمرئية، التي باتت أكثر تشويقاً وأرسخ فائدة من غيرها.

توصيات وإرشادات لتشجيع الإبداع في البيئة الأسرية:

-إقامة جلسات إرشادية وندوات أو محاضرات لتحسين العلاقات الأسرية لدى الأسر وتوعيتها بأساليب المعاملة الأسرية التي قد تبين أن لها دور في تشجيع إبداع الأبناء.

- إعداد برامج إرشادية طويلة المدى في كيفية التعامل مع الأبناء الموهوبين من داخل الأسرة الواحدة.

- مساعدة المختصين في مجال رعاية الموهوبين للتخطيط لبرامج الموهوبين وأساليب اكتشافهم.

- توجيه الآباء والمربين بألا يفرضوا آراءهم الفنية على تعبيرات الأطفال، حتى يتسنى لهم حرية التعبير، وإنما يجب تشجيعهم على المحاولة بحيث تفتح لهم مجال المشاهدة التي تشجعهم على التعبير الفني، وإثارة خيالهم، وشد انتباههم.

- تشجيع الفروق الفردية في الميول والقدرات لدى الأطفال والعمل على تدعيمها.

- تجنب النقد والسخرية لأوجه القصور، لأن ذلك يؤثر سلباً على التفكير الإبداعي.

- تشجيع الأطفال على اتخاذ القرارات المستقلة، والاستقلالية في التفكير، واتباع أسلوب الحوار والمناقشة، وتشجيعه على حرية الاختيار.

- إشباع الحاجات النفسية للطفل.

- استخدام أساليب المعاملة السوية والابتعاد عن الأساليب غير السوية مثل: الابتعاد عن القسوة واستخدام أساليب الضغط والتهديد والتوبيخ والعقاب البدني، الابتعاد عن التدليل والحماية الزائدة للطفل، تجنب إهمال الطفل وعدم العناية به نفسياً وجسدياً، وتجنب التفرقة في المعاملة بين الأبناء، والابتعاد عن تذبذب سلوك الآباء تجاه الطفل.

- ضرورة تعريض الطفل لخبرات متنوعة، وإتاحة الفرص له لإنتاج الأفكار الجديدة، والاستجابات المتنوعة للمثيرات والخبرات التي توجد حول الطفل.

- تشجيع حب الاستطلاع عند الطفل، وحثه على اكتشاف الأفكار بنفسه لتوليد الثقة بالذات .

المراجع

أولاً: المراجع العربية

١-أحمد جبر(٢٠٠٠). نشرة مضامين الدراسات التربوية حول الإبداع في فلسطين، جامعة القدس المفتوحة، القدس.

٢-جمال محمد الخطيب(١٩٩٨). مقدمة فى الإعاقة السمعية. الأردن،عمان: دار الفكر للطباعة والنشر، ص٢٣.

٣-جميل الطهراوي(٢٠٠٦). الأستاذ الجامعي والإبداع. بحث مقدم في اليوم الدراسي الثالث "الأستاذ الجامعي وقضايا الجودة في الجامعات الفلسطينية"، الجامعة الإسلامية، غزة.

٤-سعود عبدالعزيز الشعيل (٢٠١١) دور الأسرة في تنمية التفكير الإبداعي لدى الأبناء دراسة ميدانية في مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية –رسالة ماجستير" كلية العلوم الاجتماعية. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية– المملكة العربية السعودية.

٥-عادل عز الدين الأشول (٢٠٠٥). نوعية الحياة من المنظور الاجتماعى والنفسى والطبى، المؤتمر العلمى الثالث "الإنماء النفسى والتربوى للإنسان العربى فى ضوء جودة الحياة"، كلية التربية، جامعة الزقازيق،١٥-١٦ مارس.

٦-نايفة القطامي (٢٠٠١). تعليم التفكير للمرحلة الأساسية. الأردن: دار الفكر.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

7-Andrews,F.M.&Withey,S.B.(1976). Social indicators of well-being: Americans` perception of life quality .New York: Plenum.

8-Benjamin Shaw;Kraus Neal;Chatters,Lindao(2004). Emotional support from parents early in life, Aging, and health. Psychology and Aging, Vol. 19, No. 1,4-12.

9-Bronzaft,Arline,L.(1996).Top of the class: Guiding children along the smart path to happiness. Creativity Research.

10-Brown,I.&Brown,R.(2006).Individual and family quality of life. Mukibaum Treatment Centers for Children and Adults with complex disabilities.

11-Brown,Roy(2009).Individual and family quality of life: Issues of aging and intellectual disability. Hong Kong Joint Council for people with Disabilities /Hong Kong Council of Social Service.

12-Daniel,T.;Shek&Lee,T.Y.(2007).Family life quality and emotional quality of life in chine adolescents with and without economic disadvantage .Social Indicators Research,80,pp.393-410.

13-Davis, Phyllis,Ann.(2009).Quality of life of people with disabilities: Stories of successful adults. Ashland University, ProQuest, UMI Dissertations Publishing. 3357567.

14- Denise , J. P. (2002) . A qualitative analysis of the conceptualization and domains of family quality of life for families of children with disabilities , PhD. Thesis, Department of Special Education, Faculty of the Graduate School , University of Kansas , 14- 15.

15-Dennis, R. E., Williams, W., Giangreco, M. F., & Cloninger, C. J. (1993). Quality of life as context for planning and evaluation of services for people with disabilities. Exceptional Children. 59(6). 499-512.

16-Downing ,P. James (1997). Creative Teaching , Teacher Ideas Press , Engle Wood , Colorado , USA .

17-Erikson,E.H.(1964).Childhood and society. New York: Penguin Books.

18Isaascs,B.;Brown,I.;Brown,R.;Baum,N.;Myerscough,T.;Neikrug,S.;Roth, D.; Shearer, J.& Wang, M.(2007).The internal family quality of life project: Goals and practice in Intellectual Disabilities, Vol.4,N., 3,PP. 177-185.Sep.

19-Lonescu,Aurrelia(1998).Clinical phenomena of family psychopathology: Diagnostic reference points from the perspectives of family psychotherapy. Journal of Revue-Roumain Des Sciences Socials Series De Psycholoyie, Vol. 29(2),PP.147-156.

20-Mytko, J. J., & Knight, S. J. (1999). Body, mind and spirit: Towards the integration of religiosity and spirituality in cancer quality of life research. Psycho-Oncology, 8, 439-450.

21-Park,J.Turnbull,A.&Turnbull,H.,R.(2002).Impacts of poverty on quality of life in families of children with disabilities. Exceptional Children,68(2),PP.151-170.

22Park,J.;Hoffman,L.;Marquis,J.;Turnbull,A.;Poston,D.;Mannan,H.;Weny, M. &Nelson, L.(2003).Toward assessing family outcomes of service delivery: validation of family quality of life survery. Journal of Intellectual Disability Resarch,47(415),367-384.

23-Paterson,G.&Sanson,A.(1999).The association of behavioral adjustment to temperament, parenting and family characteristics among 5 year-old children N. Social Development,8,293-309.

24-Poston,D.;Turnbull,A.;Park,J.;Mannan,H.;Marquis,J.&Wang,M.(2008).Family quality of life outcomes: A qualitative inquiry launching a long-term research program. Mental Retardation,41(5),313-328.

25-Roberts,R.N.;Innocenti,M.S.&Goetz,L.P.(1999).Emerging issues from state level evaluations of early intervention programs. Journal of Early Intervenation,22(2),152-163.

26-Turnbull,A.;Marquis,J.;Hoffman,L.;Poston,D.;Summers,J.;Mannan,H.& Wang, M. (2005).A new tool for assessing family outcomes: Psychometric evaluation of the Beach Center Family Quality of life scale. Journal of Marriage and Family,68,1069-1083.

27-Turnbull,A.;Summers,J.;Lee,S.;Kyzar,K.(2007).Conceptualization and measurement of family outcomes associated with families of individuals with intellectual disabilities. Mental Retardation and Developmental Disabilities Research Reviews,B.,PP.346-356.

28-Verdugo,M.A.;Cordoba,L.&Gomez,J.(2005). Spanish adaptation and validation of the family quality of life survey. Journal of Intellectual Disability Research,Vol.49,Part 10,PP.794-798 ,Oct.

29-Wang Mian& Brown Roy (2009). Family quality of life: for policy and social service provisions to support families of children with disabilities. Journal of Family Social Work,Vol.12,Issue2,April,PP.144-167.